

20 تفسير سورة الأنبياء | آية 32 - 01 | تفسير ابن كثير

علي غازي التويجري

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك وانعم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى الله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين. يقول جل وعلا في سورة الأنبياء لقد انزلنا اليكم كتابا فيه - 00:00:00

ذكركم افلا تعقلون. يقول الله جل وعلا لکفار قريش ولجميع الجاحدين المكذبين ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وب والساله يقول مقررا ذلك عليه مبينا انه حق بل ومبينا ايضا شرف القرآن - 00:00:20

ومحررا لهم على معرفة قدره. لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم. قال ابن عباس شرفكم قال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم وهذه الاقوال بينها تتلازم فان الله جل وعلا انزل هذا القرآن فيه دين المسلمين وهو شرف لهم لمن - 00:00:45

تبعه وعمل بمقتضاه وهو وفيه حديثهم وخبرهم وما يكون اليه امرهم وما ينتهي اليه من صدق به واتبعه وما ينتهي اليه من كذب به وخالفه قال جل وعلا افلا تعقلون؟ هذا الاستفهام للتوبخ والتقرير لهم - 00:01:14

ومعنى تعقلون يعني تفهمون وتعقلون هذه النعمة تتلقونها بالقبول اعقولوا عن الله مراده. افهموا واعملوا قال ابن كثير اي هذه النعمة تتلقونها بالقبول. كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وسوف - 00:01:43

تالون قال جل وعلا وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة القسم كسر الشيء ودقه. يقال قصمت ظهر فلان اذا كسرته انقسمت سنه اذا انكسرت. والمراد هنا الاحلاك والعداب المستأصل كم قصمنا - 00:02:06

اي كم اهلكنا واستأصلنا وعذبنا؟ وكم هنا هي كم الخبرية؟ التي تفيد التكثير. والمعنى ان امما كثيرة جدا اهلكهم الله وعذبهم. لما اعرضوا عن الحق ولم يتبعوا رسالهم الذين بعثهم الله اليهم - 00:02:38

وكم من قرية كانت ظالمة هي مكان اجتماع الناس فضلها على الامم وتطلق على القرى. لكن القرى يراد بها المكان والامم الاشخاص الذين يسكنون في المكان وهي ظالمة اي كافرة. لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه. واعظمها الكفر - 00:03:09

وعدم طاعة الله وعصيائه وانشأنا بعدها قوما اخرين. قال ابن كثير اي امة اخرى بعدهم. وقال ابن كثير في قوله وكم اهلكنا من القرون؟ نعم. وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة - 00:03:33

قال هذه صيغة تكبير كما قال وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وقال فكأين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد. والقرآن يفسر بعضه بعض - 00:04:03

اذا اهلكناهم وقسمناهم وعذبناهم واستأصلناهم وانشأنا وخلقنا واجدنا بعدهم قوما اخرين امة اخرى غيرهم. وهذا دليل على كمال جل وعلا وعلى تصريحه لهذا الكون قال فلما احسوا بأمسنا اذا هم منها يركضون احسوا بمعنى ادركوا ورأوا عذابنا - 00:04:23

يعني هذه هؤلاء القوم المكذبون لما احسوا ادركوا ورأوا وتيقنو بأمسنا اي عذابنا اذا هم منها اذا هم من بأمسنا يركضون. والركض الاصل فيه الفرار والهرب. والانهزام واصله من ركض الرجل الدابة برجليه. اذا استحث - 00:04:56

ها على سرعة العدو. ويقول ابن كثير فلما احسوا بأمسنا اي تيقنوا ان العذاب واقع بهم لا محالة كما وعدهم نبيهم اذا هم منها يركضون منها اي من البأس من بأمسنا - 00:05:26

ان يفرون هاربين. لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم. فيه. قال جل وعلا لا تركضوا يعني لا تفروا من عذابنا وتهربوا فانه متتحقق ولابد وارجعوا الى ما اترفتم فيه قال ابن كثير - 00:05:48

هذا تهكم بهم قدوا. اي قيل لهم قدرا لا تركضوا هاربين من نزول العذاب وارجعوا الى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة

والمساكن الطيبة. وقبله يقول الطبرى لا ترکضوا - 00:06:18

يقول لا لا تهربوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه. يقول الى ما انعمتم فيه من عيشكم ومشاكلكم. وقال القرطبي ارجعوا الى نعمكم التي كانت سبب بطركم. والمترف المتنعم يقال اتلف فلان اذا وسع عليه في معاشه. اذا هذا هو معنى الاية لا تهربوا - 00:06:38

ولا تفروا من عذاب الله فانه واقع ثم قال على سبيل الاستهزاء بهم كما قال قتادة قال استهزأ بهم ارجعوا الى ما اترفتم فيه ارجعوا الى النعيم الذي كنتم فيه وكتم مترفين من الترف وهي النعم الزائدة وارجعوا الى مساكنكم - 00:07:14

التي كنتم فيها وهذا مستحيل ان يرجعوا اليه قال لعلكم تسألون قال ابن كثير اي عما كنتم فيه من اداء شكر النعم لعلكم تسألون هذا دليل ان سيسأل على عن الصغير والكبير عما كان - 00:07:39

ابي من النعيم كما قال جل وعلا ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ولهذا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر لما اكل رطا شرب ماء اكل لحما قال والذي نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم. لكنه بالنسبة للمؤمنين سؤال - 00:08:05

تقدير فقط ليقرروا بالنعمة ويدركهم بالنعمة لا سؤال مناقشة فيعدبون قال جل وعلا قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين. قال الطبرى قال هؤلاء الذين احل الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله يا ويلنا انا كنا ظالمين بكفرنا بربنا فما زالت تلك دعواهم يقول فلم تزل - 00:08:36

دعواهم حين اتاهم بأس الله بظلمهم انفسهم يا ويلنا انا كنا ظالمين حتى قتلهم الله فحصدتهم بالسيف كما يحصد الزرع ويستأصل بالمناجل وقوله خامدين اي هالكين قد انطفأت شرارتهم وسكت حركتهم فصاروا همودا. كما تخمد النار فتطأ. فتطأ - 00:09:16

نعم اذا قالوا الكفار هؤلاء المترفين المنكرين للبعث لما حل بهم البأس صاروا يركضون ويفرون وبهربون فاهمين ونهام الله عن ذلك واخبر انهم سيسألون ويناقشون قالوا اي الكفار يا ويلنا اي الويل لنا والهلاك لنا - 00:09:46

انا كنا ظالمين اعترفوا بانهم كانوا ظالمين وذلك بكرهم وعدم ايمانهم وهذا اظلم الظلم الشرك. نسأل الله العافية والسلامة. قال فما فما زالت تلك دعواهم يعني ما زالوا يكررون هذا الكلام يا ويلنا انا كنا ظالمين يا ويلنا - 00:10:09

انا كنا ظالمين لشدة ندمه وتحسرهم ولكن ذلك لا يغني عنهم شيئا حتى جعلناهم حصیدا خامدين آمر معنا قول الطبرى بان حصیدا يعني حصدهم بالسيف. كما يحصد الزرع وانهم خامدين - 00:10:29

يعني همدوا وحمدوا كما تخمد النار وتنطفى. وقال القرطبي خامدين اي ميتين والحمد لله كحمد النار اذا طفت وقال ابن كثير قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترفوا اعتذروا بذنبهم - 00:10:56

حين لا ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصیدا خامدين اي ما زالت تلك المقالة وهي الاعتراف بالظلم هجيراهם ومعنى الهجيره يعني العادة والدأب. والمواصلة على ذلك. قال - 00:11:24

وهي الاعتراف بالظلم هج جيراهم حتى حصدناهم حصدا وحمدت حركاتهم واصواتهم خمودا بسبب حلول عذاب الله جل على فيهم. ثم قال جل وعلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين - 00:11:48

قال ابن كثير يخبر تعالى انه خلق السماوات والارض بالحق اي بالعدل والقسط. ليجزي الذين اساعوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وانه لم يخلق ذلك عبشا ولا عبا كما قال جل وعلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلنا. ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من - 00:12:13

النار اذا يخبر جل وعلا انه ما خلق السماوات والارض وما بينهما لعبا وعبشا وباطلا. حاشا وكلا. ولهذا قال ابن كثير قال ابن جرير وما خلقنا السماء والارض وبينهما الا حجة عليكم ايها الناس. ولتعتبروا بذلك كله فتعلموا ان الذي دبره وخلقه لا يشبهه - 00:12:40

وانه لا تكون الالوهية الله ولا تصلح العبادة لشيء غيره. ثم روی عن قتادة قوله للعبيدين قال ما خلقناهم عبشا ولا باطلنا. اذا ما خلق الله عز وجل السماوات والارض وبينهما لعبا ولا عبشا ولا باطلنا ولكن للتتبليه على ان لهما - 00:13:16

خالقا قادر ا يجب امتهال امره. وهذا دليل انه لا يجوز ان يوصف الله باللعب. حاشا وكلا ولا يخبر عنه بذلك ولهذا مقوله بعض العامة لعب على فلان لعب الله عليه هذا من المنكر العظيم. فان الله لا يلعب جل وعلا وامره كله جد - 00:13:47

ولا هزل فيه ولا عبث ولا باطل سبحانه وتعالى. قال جل وعلا لو اردنا ان نتخد لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين. يقول الله جل وعلا
واردنا ان نتخد لهوا. والله كما قال الطبرى قال زوجة - 00:14:10

وولد له وان زوجة وولدا. قال الحسن البصري وقتادة اللهو في قوله لو اردنا ان نتخد لهوا قالوا له المرأة بلسان اهل اليمن. وقال
عكرمة والسدى المراد بالله هنا الولد قال ابن كثير وهذا والذى قبله متلازمان - 00:14:34

اثبات الولد واثبات الزوجة. وهو كقوله جل وعلا لو اراد الله ان يتخد ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه فنره نفسه عن اتخاذ
الولد مطلقا ولا سيما عما يقولون من الافك والباطل مع من اتخاذ عيسى او العزيز او الملائكة سبحانه الله عما يقولون - 00:15:07
كبيرا اذا اللهو هنا المراد به الزوجة والولد. لوردنا ان نتخد لهوا لاتخذنا من لدنا ان كنا فاعلين. لاتخذنا اللهو من لدنا. قال ابراهيم
النخعي من الحور العين قال جل وعلا ان كنا فاعلين. ان كنا ان هنا نافية - 00:15:33

للحجود اي ما كنا فاعلين ما كنا فاعلين. ولهذا قال وقتادة والسدى وابراهيم النخعي وما غيرها ابن مقسم اي ما كنا فاعلين. قال
مجاهد كل شيء في القرآن ان فهو انكار - 00:16:14

انكار يعني نفي جحود وما كنا فاعلين. يعني ما كنا فاعلين لذلك ولهذا قال الطبرى ولكن لا نفعل ذلك ولا يصلح لنا فعله ولا
ينبغي. هذا على نافية. وقيل ان ان شرطية. ان كنا فاعلين ذلك - 00:16:39

يعني لو اردنا ان نتخد لهوا لاتخذناهم من لدنا ان كنا سنفعل ذلك ولكن لن نفعل لأن الله لم يتخد صاحبة ولا ولدا قال جل وعلا بل
نقذف بالحق على الباطل - 00:17:10

معنى نف يعنى نرمي بالحق على الباطل وقال ابن كثير اي نبين الحق فيدحض الباطل ولهذا قال فيدمغه فإذا هو زاهق اي
ذاهب مض محل لكم الويل ايها القائلون لله ولد مما تصفون تقولون - 00:17:35

وتقترون اذا الله جل وعلا يقذف اي يرمي بالحق على الباطل والحق هو القرآن والباطل هو الشيطان قالهم مجاهد وقتادة والاظهر انه
اعم ان الله يقف بالحق مطلقا والقرآن جاء بالحق - 00:18:07

على الباطل اي باطل كان على الشيطان وعلى اقواله وافعاله والباطل الذي يكون على عند الناس فيدمغه اي يهلكه كما قال الطبرى.
قال فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بان يشجه على رأسه شجة تبلغ تبلغ الدماغ - 00:18:35

واذا بلغت السجة ذلك من المسجوج لم يكن له بعدها حياة. وقال القرطبي فيدمغه ان يقهقه ويهلكه واصل الدماغ شج الرأس حتى
يبلغ دماغه. والحق هنا القرآن الباطل الشيطان. وهذا - 00:19:03

من رحمة الله جل وعلا انه هو الذي يقذف بالحق يرمي به الباطل في ظهر الحق ويجليه وينصره ويعزه ويدمغ به الباطل والكفر
والشرك فينتهى ويزهد ويعرف الناس بطلانه كما جاء النبي صلى الله عليه وسلم - 00:19:23

بما جاء به من هذا الكتاب العظيم فدمغ الله به عبادة الاصنام وابطلها وقد كانت هي عبادة الناس ولا احد يستطيع ان ينكر فللها
الحمد والمنة على قذفه بالحق على الباطل - 00:19:53

وعلى كسر الباطل فهو كالرجل الذي يضرب على ام دماغه فينتهى لأن الدماغ حساس فيه موضع التركيز والفهم قال جل وعلا فاذا
هو زاهق اي ذاهب وهالك. لكم الويل من - 00:20:13

اما تصفون اي لكم الهاك والدمار بما تصفون اي بما تصفون الله به من من الزوجة والولد او تصفون تكذبون او تشركون وكلها بمعنى
كلها متقاربة وممتلأة. فللكفار الذين اشركوا مع الله غيره. وزعموا له - 00:20:51

هبة والولد وكذبوا عليه لهم الويل والهاك والدمار. قال جل وعلا وله من في السماء السماوات والارض قال ابن حرير وكيف يجوز ان
يتخد لهوا وله ملك السماوات والارض جل وعلا - 00:21:25

ومعنى له ملك السماوات والارض له ملك السماوات والارض خلقا وتدبرها واحصاء الى غير ذلك ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته.
اخبر عن الملائكة ومن اي الذين عنده عند الله جل وعلا وهم الملائكة - 00:21:47

بانهم قال ابن كثير ثم اخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ودأبهم في طاعته ليلا ونهارا. فقال وله من في والارض ومن عنده يعني

الملائكة لا يستكرون عن عبادته. اي لا يستنكفون عنها - 00:22:17

وقيل لا يتعاظمون وقيل لا يأنهون عن عبادة الله وكلها بمعنى. قال ابن كثير اي لا يستنكفون عنها كما قال قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشهم اليه جميا. ثم قال ولا - 00:22:40 يستحسرون قال ابن كثير اي ولا يتعباون ولا يملون وقال غيره ولا يعيون يقال دابة حسير كما قال السمعاني يقال دابة حسير اذا كانت عيبة وقيل مشتق من الحسير وهو البعير المنقطع بالاعباء والتعب. يقال حسر البعير يحسر حصورا اعيا وكلما - 00:23:07 والمراد ان الملائكة لا يتعباون ولا يملون ولا يأنفون من التسبيح ومن عبادة الله جل قال فلا يأنفون ولا يتکرون عن عبادته ولا يملون ولا يتعباون ولا يأنهون. ثم قال يسبحون - 00:23:36

الليل والنهار لا يفترون يسبحون الله ينزعونه عن كل نقص وعيوب في الليل والنهار في جميع الاوقات. لعظمته جل وعلا ولا مانع من ان نقول ان التسبيح هو التنزية والتبرئة لله عن كل نقص وعيوب. وانهم ينزعون الله - 00:23:59

عن الصاحبة والولد وغير ذلك. فهذا كله من الحق وهذا عمل الملائكة ولهذا روى ابن ابي حاتم بسنده صحيحه الالباني في الصحيحه ان من حديث آآ حكيم بن حزام قال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه اذ قال لهم هل تسمعون ما اسمع - 00:24:30 قالوا ما نسمع من شيء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاسمع اطيط السماء وما تلام ان تتط وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد او قائم - 00:25:07

والقطيط هو صوت الرحل الرحل اذا وضع فوق البعير ثم حمل عليه شيء ثقيل صار له اطيط وصوت هذا معنى الحديث اطط السماء يعني سمع لها صوت مثل صوت اطيط الرحل - 00:25:26

كثرت الملائكة التي فيها فما فيها موضع شبر الا فيه ملك ساجد او قائم يسبحون الله ليلا ونهارا لا يفترون ولا يستكرون. سبحان ذي الجبروت والملائكة والكربلاء والعظمة سبحانه وتعالى - 00:25:50

لا قال وهنا اورد ابن كثير اثر رواه ابن ابي حاتم عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال جلست الى كعب الاخبار وانا غلام فقلت له ارأيت قول الله تعالى للملائكة يسبحون الليل - 00:26:15

لا يفتنون. اما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل؟ فقال فمن هذا الغلام؟ فقالوا منبني عبدالمطلب قال فقبل رأسي ثم قال لي يابني جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس - 00:26:37

اليس تتكلم وانت تتنفس وتمشي وانت تتنفس يعني ان الله سبحانه وتعالى هون عليهم التسبيح ويلهمون ولا يجدون مشقة في ذلك. ثم قال جل وعلا ولا يفترون. الاصل في الفتور هو الانقطاع - 00:26:57

او عن العمل والمعنى انهم لا يضيعون ولا يسامون ويلهمون التسبيح الهااما آآ ثم قال جل وعلا ام اتخذوا الله من الارض وهم ينشرون؟ هذا الاستفهام استفهام انكار وقد اختلف المعربون في امن فقال بعضهم هي المنقطعة وهي - 00:27:22

عاطفة وبهم معنى بل والهمزة. وهي للاضراب الانحراف الانتقالي فهو اضراب انتقالي من اثبات صدق الرسول وحجية دلاله القرآن الى ابطال الشرك وقيل ان ام هنا بمعنى هل اتخذ المشركون الله تحيي الموتى؟ وعلى كل - 00:27:56

في حال هو انكار عليهم. ام اتخاذوا الله من الارض هم ينشرون. هذا وصف لهم. هل اتخذوا الله تحيي الموتى من قبورهم لان ينشرون من انشر الميت اذا احياء - 00:28:23

فهل هذه الاية الالهية التي اتخذوها من دون الله تحيي الموتى؟ الجواب لا. اذا انكر عليهم. لا يجوز ان يتخذ لها الا من ينشر الموتى ويحيي الموتى. وهو الله وحده لا شريك له. ودل على بطلان فعله - 00:28:43

وعبادتهم وانهم يعبدون من لا يملك لهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا. ثم قال جل وعلا لو كان فيهما الله الا الله لفسدتا يقول ابن كبير ثم اخبر تعالى انه لو كان في الوجود الله غيره لفسدت السماوات والارض. فقال لو كان فيهما الله اي - 00:29:03

في السماء والارض لفسدتا كقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من الله اذا لذهب كل الله من وعلى ولا على بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون. وقال ها هنا فسبحان الله رب العرش عما - 00:29:33

نعم لو كان في السماء والارض الهين اثنين لفسدتا فسدت السماء والارض. لماذا لأن الله يتنازعون. وهذا يريد ان يفعل هذا وهذا يريد ان يفعل هذا. تعالى الله عما يقول فلو كان ذلك لفسد السماء والارض - 00:29:53

ولكن انما ربها الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد جل وعلا قل لو كان فيهما الله لفسدتا
فسبحان الله من رمى لنا التسبيح والتنزية والتعظيم والتنزيه والتبرئة لله عن كل نقص وعيوب على سبيل التعظيم والمحبة - 00:30:19

فسبحان الله ينزعه نفسه رب العرش في اثبات العرش لله جل وعلا الرحمن على العرش استوى عما هون عما يكذبون او يزعمون
يزعمون ان معه الله اخرى وهذا هو المناسب في هذا المقام او ما يزعمون ان له صاحبة و ولدا. تعالى الله عما يقولون. ثم قال جل
وعلا لا - 00:30:45

يسأل عما يفعل وهم يسألون لكمال عظمته لا يسأله احد جل وعلا. وهم يسألون يسألهم الله ويناقشهم. ويجازيهم قال ابن كثير رحمه
الله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون اي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه. ولا يعترض عليه احد لعظمته وجلاله - 00:31:13
ريائه وعلمه وحكمته وعلمه ولطفه وهم يسألون اي هو سائل خلقه عما يعلمون. قوله فوربك لنسألكم اجمعين عما كانوا يعملون
وهذه كقوله جل وعلا وهو يجيز ولا يجر عليه. بعظمته وكماله سبحانه وتعالى - 00:31:40
ونكتفي بهذا القدر والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك وانعم على عبده ورسوله نبينا محمد - 00:32:05